الخروج من المعتقل بكفالة المنفى

٣-١

هاتف جنابي

لم أكنْ أتخيلُ في يوم من الأيام أن أقدمَ على تلخيصِ تجربتي في الكتابة والحياة على أنها مشهدٌ مقتطع من مسرحية المنفى الشائكة غير المكتملة حتى النهاية، بطبيعتها الكوميدية- المأساوية، المشرعة على كافة الاحتمالات. ثمة شعور يلاحقني مثل ظلي، بأنني أسير بخُفيْنِ من رملٍ ومخيلة بسعة الغياب، تلاحقني أنّى اتجهتُ الصحراء، وفي ذاكرتي ختمُ اللغة العربية. لا أعرف متى ولدت بالضبط، شأن غالبية العراقيين من أبناء جيلي والجيلِ اللاحق، وعليه فمرة كنتُ أدعي لنفسي الكِبرَ وأخرى الفتوة، وهذا الشيء الوحيد الذي أعلنُ فيه انتهازيتي وهذا نوع من الاغتراب! ولادتي في إحدى قرى الفرات الأوسط الحافلة بالخضرة والمياه، في عائلة موسرة غير متعلمة تمتد جذورها حتى أعالي الفرات: أبواي أميان غير أنهما طيبان ومتسامحان. جعلتني القرية مشدودا إلى الطبيعة أكثرَ من أجواء الكونكريت والضجيج. تعلمت من أمي الشعرَ حيث كانت تحفظ وتنشد على مسمعي الكثير من مقطوعات وأناشيد الشعر الملحون العراقي، ومن أبي التسامح والانفتاح على الآخر بقليل من الأمل وببعض الشك في العالم، إنقاذا للنفس من الطناطل المتربصة بها. هذه الفسحة بيني وبين الآخر تدربتُ عليها في صغري بحكم التربية العائلية، لكنْ، نظرا لاختلاطها بفكرة احترام الآخرين والانفتاح عليهم والوقوف معهم عند الشدائد، جعلها تتعرض لبعض المُنغصات، على أساس أن الاختلاط يجلب المنفعة بقدر ما يجلب النحس.

كانت طفولتي، رغم قسوتها ورتابة الحياة القروية، تتسم بالوداعة النسبية، لكنها واجهت محاولة محقها في سن الحادية عشرة على الأرجح، حينما تمّ تهريبي من أرض أبي (أثناء غيابه) قبل منتصف الليل، بسبب صراع بين الفلاحين على الأرض. لقد هربنا من أرضنا حفاظا على أرواحنا من الثأر الذي حمل أبي، بدون وجه حق، مسئوليته. لم يكن والدي آنذاك في البيت الذي لم يَعُدْ إليه مطلقا. أتذكر حدّ التفاصيل المملة، تلك الليلة الحالكة بصراخها وعويلها، برعبها وأحداثها الحاسمة في حياتي وحياة أسرتي. هربتني أمي تحت جنح الظلام إلى بيت الجيرانِ الذين خبئوني في زريبة مع أبقارهم، ومنها نُقلتُ إلى كراج المدينة الوحيدِ بقارب عتيق، كنا نجدف بأعصابنا. لقد نجوتُ من الموت بأعجوبة، إذْ كان عليَّ أنْ أقتلَ بدلا من الأب البريء الغائب حينئذ. كان هربي بمثابة أول انسلاخ واقتطاع لي من جذوري، أول منفى في حياتي.

كل شيء كان مخيفا يشي بالرعب ولا سبيل لتغييره، كأنه قدر لامفر من مواجهته. فالخوف والارتيابِ والحذر من الكلمات أشياء دخلتِ القاموسَ العائلي دفعة واحدة، تبعها إحساسٌ بالغربة وفقدان الأرضية الصلبة التي كنا نستند إليها، حتى خامرنا شعور بذنب لم نقترفه أبدا. انتقلنا من فضاء مفتوح أخضر ولازوردي نمتلك حضورا ملموسا فيه، إلى مدينة صفراء رمادية غامضة كتيمة مغلقة على الغرباء من أمثالنا. كنتُ أكبرَ إخوتي، الأمر الذي جعلني أحسُ بمسؤولية أكبرَ من طاقتي، خصوصا وأن أبي أخذ يخسر في تجارته ويفقد أرضه تدريجيا. كانت النجف النقيض الطبيعي لمسقط رأسي: خضرة تقابلها صحراء، بيت حدوده البساتين والفواكه والحقول مقابل بيت وأزقة تزورها الوحشة واليرابيع والعقارب والصراصير أحيانا ويرقص فيها الغبار، فضاء ترقبك فيه النجوم والطيور والحيوانات وحكايات الجن والطناطل والمياه وأنت جزء منها مقابل أزقة ماكرة وبيوت محكمة الغلق وأسواق يمخرها الغرباء من زوار العتبات المقدسة. مدينة غامضة غموض الشعر الحديث، ملمومة كقنفذ، مفتوحة على الصحراء من ثلاثة اتجاهات، وعلى نهر الفرات ونخيل الكوفة من جهة الشرق. الجهة الشمالية مشرعة على المقبرة. بالإمكان الوصول إليها خلل بعض السراديب. طبعا، عليَّ ألا أنسى الموتى السائرين ليلا في الطرقات. أغلب السكان المجاورين للمقبرة يعتقدون أن ثمة من يراقبهم نهارا ويسير خلفهم ليلا!

تشعر وأنت في ذلك الجو بأن الجميع يرونك، أنت الغريب الطاريء، يلاحقونك بنظراتهم، يتفحصونك ويتلصصون عليك ثم يرمونك نهبا للمجهول وأنت لاتراهم وإن رأيتهم فلا تجرؤ على السؤال عن سر مثل هذا الشعور. ثمة مقبرة، كان الموتى يحلمون بها، أصبحت جارة دائمية لنا نحن الأحياء. أخذ يتنامى في داخلي إحساس بالظلم والفجيعة وانعدام العدالة في هذا العالم. سبايا تاريخية وشعائر اللطم والعويل تُستعاد في مواسم طقسية متوالية يمثلها أشباهٌ ممثلين وسبايا. رغم ذلك، كانت النجف بأزقتها وطقوسها ومقبرتها المهيبة ومكتباتها مكانا ملائما لي لتطوير مخيلتي وتوسيع مداركي وإشغال الروح والعقل بالتعلم والتأمل والقراءة.

كان القرآن الكريم أولَ سفر اقرأه في حياتي، أعدتُ قراءته أكثر من مرة، إحداها بناء على طلب أبي الذي اشترى لي تلك النسخة القرآنية الجميلة. بعده أخذت أقرأ أشعارَ شاعر العامية العراقية بامتياز(الحاج زاير) الذي تعلمتُ منه تركيب الصورة الغريبة الموحية المفاجئة وإعمال الخيال فظل يلاحقني حتى يومنا هذا. إنه في تاريخ الشعر الشعبي العراقي بمثابة الرسام (-Bosch بوش) في تاريخ الرسم الأوروبي! بعد ذلك أخذت اقرأ أمرؤ القيس وطرفة بن العبد فوجدت وشائج تمردية وتطلعية بيني وبينهما غير قليلة، فألفيتُ نفسي أعود إليهما حتى في غربتي. تبعتهما بقراءة المتنبي مقترنة بمحاولة حفظ أشعاره ألفبائيا(مقلدا ماشاع عن الجواهري من حفظ أشعار المتنبي كاملة) وحين وصلتُ إلى حرف الباء استوقفني بيته الشهير:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي مَنْ به صممُ

فتوقفتُ عن الحفظ واكتفيتُ بقراءته عدة مرات. لقد صدمني بيته بسبكه من جهة ولكن باعتداده المبالغ بنفسه وفخفخته من جهة أخرى- الأمر الذي لم أكنْ أميل إليه البتة، فخفتُ الوقوع أسير شعره. فانصرفتُ عنه لقراءة نسخة"المواقف والمخاطبات" للنفري، اهتديتُ إليها بفضل صاحب المكتبة التي كنتُ أتردد عليها آنذاك وأستعير منها كتبا بمبلغ زهيد وأحيانا بدون مقابل. الكتب الوحيدة التي كانت في حوزتي الشخصية في المرحلة الأولى من قراءتي هي: القرآن الكريم، ديوان أمرؤ القيس، ديوان طرفة بن العبد، ديوان المتنبي(شرح العُكبري، ألحقته فيما بعد باقتناء نسخة ثانية بشرح عبد الرحمن البرقوقي)، "كتاب المواقف والمخاطبات" للنفري، بعض كتب الصوفية ونسخة صفراء تضم أشعار الحاج زاير والكتابات المتوفرة لبقية المتصوفة، وكراسات في السحر والتعزيم. ورسالة الغفران للمعري، ونهج البلاغة.

كنتُ أقرأ بعضَ النصوص المعقدة دون أن أفهم كنهها حتى النهاية. قرأتُ ما أمكن قراءته من كتب التراث والكتب المترجمة التي ازداد عددها لدى دخولي الجامعة أواخر الستينيات. أول كتاب استعرته من زميلتي النصرانية التي عشقتها سرا، هو "الكتاب المقدس" بعهديه القديم والجديد وبطبعة فريدة، فألفيتُ نفسي أعيد قراءته مرات. استوقفني فيه كلّ من المزامير وسفر أيوب ونشيد الإنشاد وسفر الجامعة، ولمّا لاحظت زميلتي تعلقي بالكتاب أهدته لي في نهاية السنة الأولى. قلتُ لها آنذاك: "ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما" فأدركتِ القصد!

تعلمتُ من امريء القيس وطرفة بن العبد التمرد وعدم الركون إلى المسلمات؛ ومن المتنبي اهتديتُ إلى أهمية اللغة وقضية السبك ودقة المعاني؛ ومن زهير بن أبي سلمى التأني ومراجعة النصوص؛ وبفضل المتصوفة أخذت أحتقر المظاهر والفخفخة باعتبار الحياة حلما قصير الأمد؛ ومن المعري أن الشعر لايمكن أن يكون مجرد احتفاء بالشكل وتنميق الكلمات. الشعرُ بدونِ معنى لا يُعمّرُ طويلا.

لقنني النفري درسا مبكرا بأن الكلام يمكن أنْ يكون شعرا بلا وزن وقافية. ألم يقلْ الشاعرُ والمفكرُ الفرنسي(أوسكار ميلوش) في كتيبه "بضع كلمات حول الشعر" بأن مستقبل الشعر قد يكون في نص قريب من ترتيلة وشكل العهد القديم بسلاسته وعمقه؟! لو نقلنا ذلك إلى تراثنا الأدبي، لأصبحنا قريبين من مقولة: "السهل الممتنع" بدون أوزان، ولربما حتى أمامَ تجربة النثر القرآني.

رغم ما أخذت أهتدي إليه، خصوصا في غربتي، من دراسات وأشعار ونصوص مثيرة غير متوفرة بالعربية، إلا أن ماصاغه امرؤ القيس في البيت التالي ظل يتمرأي أمامي إلى يومنا هذا، مزيحا بيت المتنبي الآنف الذكر بامتياز:

فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

جعلني هذا البيت أحسّ بأن موتي قد جزأته الظروف لتعبث بي وبأمثالي أطول مايمكن، على أنني أخذت أتماهى مع هذا المصير لأنه أتاح لي أن أتطور على سجيتي وبطريقتي الخاصة وفقا لإيقاع حياتي ومخيلتي وعقلي والظروف التي عشتها. أقول ذلك وأنا أحس بنمو تصاعدي تدريجي لا قفزوي. القفز السريع يُشبه الانفعال والومضة التي تلمع وسرعان ما تنطفيء.

بقيتُ فيها من الصف السادس الابتدائي حتى نهايةِ المدرسة الإعدادية، بعدها انتقلتُ إلى بغداد للدراسة في قسم اللغة والأدب العربي بجامعة بغداد.، تخرجت منها في ١٩٧٢ حيث استدعوني إلى الخدمة العسكرية لمدة سنة كجندي مكلف. بعد التخرج، أرسلوني إلى الزبير في البصرة ووضعوني في كتيبة دبابات جاثمة يعلوها الغبار المتطاير من كل اتجاه. تحدها الصحراء من حدب وصوب، وفي جنوبها البعيد يقع "حي الطرب" –مبغى غجري، وخلفه الحدود الكويتية. زرته بمعية زميلين من الحامية: محام بصراوي ومدرس لغة إنجليزية. لا أعرف مصير(أبي قتيبة)، بينما هاجر الثاني إلى أميركا حيث أصبح أستاذا.

كتبتُ مجموعة من قصائدي على الرمل، بغرض التمرن أولا، ولخوفي من التهلكة فيما لو نقلتها على الورق ثانيا. كل شيء محته الريح. وردتْ مقاطع منها في قصيدة "العزف على الجمجمة"(١٩٧٢):

قد أسفحُ فوق الجلد بكائي،
قد أرسم فوقِ الرمل ضريحا،
يحملِ عنوانَ الروح".

عدتُ فيما بعد إلى هذه الفكرة عدة مرات وفي أوقات متفرقة، وبتنويعات مختلفة.

كان قد أشيع بأننا لن نتعينَ في سلك التعليم طالما بقينا خارج صفوفِ الحزب الحاكم، لكن بعد انتهاء الخدمة صدرَ قرارٌ بتعييني في مدينة كركوك، فكان ذلك بمثابة إبعاد لي. كانت الملاحقات والمداهمات تتم في تلك الفترة بنوع من التكتم لكنها أخذتْ تنفلت بوتيرة متصاعدة، حتى بلغتْ أوجها في أواخر السبعينيات.

في مكتبات النجف الخاصة والعامة وأيامها المستسلمة للكتمان شرعتُ بتلمس نفسي شعرا. الشعرُ هو الذي بحثَ عني وليس العكس. جاءني الشعرُ منقذا ووسيطا بين عوالم متناقضة: العسر بعد اليُسر، الريف والمدينة، الانفتاح والانغلاق، الخضرة والصحراء، الاكتفاء الذاتي بما تهبه الأرضُ مجانا، بحقولها وبساتينها ثم البحث بصعوبة عن لقمة العيش: (بائعا للسجائر وبعض ملابس النساء الداخلية خفية، في آخر كل أسبوع، في المقاهي والشوارع، طيلة سبع سنوات)، الانسلاخ عن الجذور والبحث عن مأوى، فقدان الطفولة دفعة واحدة وترميم حياة بالغة على عجل.

كتب

قراءة في كتاب ميسوبوتاميا (بين النهرين)

د.فريال جبوري غزول*
ترجمة: المدى

ان رواية الكاتبة ابتسام عبد الله التي تحمل الاسم الاغريقي للعراق "ميسوبوتاميا"، مع عبارة معترضة بين قوسين (بين النهرين) طبعت قبل الغزو الاخير للعراق وما جرى بعد ذلك فيه ونتائجه الاحداث في هذه الرواية تنذر بالانتهاكات الفظيعة للاثار العراقية، على الرغم من ان الاحداث الحقيقية قد تجاوزت الرواية بفظاعتها.

كتب شيللي في عام ١٨٢١ وبولاء رومانتيكي، ان الشعراء هم المشرعون، غير المعترف بهم للعالم واكثر حداثة من ذلك خفف غياتري جاكر افورتي سبيغال من التعبير في عام ٢٠٠٣، مؤكدا بواقعية اكثر من ان "الادب لا يمكن ان يتنبأ، ولكن قد يتمكن من ان يشير او يدل على وقوع الشئ قبل حدوثه عن طريق صورة مماثلة رواية ابتسام عبد الله تدل على هذا الامر.

المؤلفة ابتسام عبد الله، روائية عراقية معروفة، كاتبة ومترجمة لقد ترجمت مذكرات ميكيس نيودوراكيس وانجيلا ديفيز الى اللغة العربية، كما قامت بترجمة "في انتظار البرابرة" لـ ج.م.كوتزي (المجلس الاعلى للثقافة- مصر) كما عملت رئيسة تحرير لمجلة الثقافة الاجنبية، المختصة بالادب الاجنبي التي كانت بمثابة نافذة على عالم الادب العربي بالنسبة للعراقيين الذين كانوا معزولين ثقافياً بسبب المقاطعة التي فرضت عليهم.

ومن سوء الحظ ان هذه الرواية ومطبوعات اخرى، قد حرمت من التوزيع بعد الاحتلال كما ان احدى قصص ابتسام عبد الله "في البستان" ترجمت من قبل دنيس جونسون ديفيز في الاهرام ويكلي- ١٩٩٠"، وهي تتحدث عن اثار الحصار الاقتصادي على ابناء الطبقة الفقيرة وعن تكون طبقة اخرى من الاغنياء المستفيدين من ذلك الوضع.

رواية ابتسام عبد الله، ميسوبوتاميا، تتناول ايضاً المشهد الانساني العراقي تحت آثار الحصار، ولكنها لا تتعامل مع طرفي التناسب، الفقر والغنى، كما فعلت في قصتها القصيرة فالرواية بدلاً عن ذلك، تدور حول عدد من الاشخاص من الطبقة الوسطى والتغييرات التي تطرأ عليهم، ليس فقط من ناحية القدرة الاقتصادية المنحدرة، ولكن ايضاً من ناحية التغييرات النفسية الاجتماعية المتفسخة والمتعرية، السهلة التكيف وتتصدر الرواية عبارة توحي بفكرتها العامة، مقتبسة من اللوح الاول ملحمة جلجامش، اقدم نص ادبي محفوظ في التاريخ الانساني اما "ميسوبوتاميا" و"سومر" فهما في الرواية اسمان لمحلين في بغداد، مختصين لبيع التحف الفنية القديمة، فيما ان الابعاد السطحية الظاهرية للسرد تعود لمحل "ميسوبوتاميا" فان طبقاتها الاعمق تشير الى ميسوبوتاميا البلد هذه الاحالة في الرواية من تحويل الوطن الى محل او دكان يشير الى التدافع نحو ثروات العراق والاستيلاء على آثاره الثقافية من قبل مجموعات من المهربين.

لقد كتبت الرواية باستخدام وجهات نظر متعددة وهو اسلوب اقترن غالباً بلورنس دوريل، "الرباعية الأسكندرانية" ثم اصبح متداولاً عربياً في روايات نجيب محفوظ: ميرامار" وفتحي غانم في "الرجل الذي فقد ظله" الاسلوب السردي الذي انتهجته ابتسام عبد الله منفذ بمهارة وبما ان الاحداث كانت تروى من قبل شخصيات مختلفة، فان القارئ يهيئ نفسه لتطور الاحداث من قبل شخصيات متعددة اسلوب الاتجاهات متعددة وجهات النظر هو صيغة "ديمقراطية" للتقديم، كما انه يستند على المنظور الجمعي وان استخدمنا صياغة باختين للرواية المتعددة الاصوات، نجد انها تلغي السيطرة الاستبدادية للسارد العليم بكل شيء والوظيفة الحوارية الغائبة بشكل واضح في السياسة العراقية، فهي في الواقع المحرض الاستفزازي الذي يشمل الرواية بأسرها. والادب كما يقول سبيفاك" وهو ما يفلت من النظام" فهذا الشكل من الكتابة ينمو ضد المظهر الخارجي لايديولوجية الديكتاتورية والقبضة لأدب الدعاية وروايات الحرب التي انتعشت في الثمانينيات والتسعينيات بل وابعد من ذلك، فان هذه الكتابة تتطلب جهداً اكبر من جانب القارئ الذي تقع عليه مهمة فهم الحوارات الداخلية والانفرادية ومن هي الشخصية التي تتولى السرد.

وكل فصل من الفصول الـ١٢ للرواية مكتوبة بصيغة المتكلم، و"الأنا" تتغير، وهكذا يحتاج القارئ الى ذهنية ذكية سريعة الخاطر للتعرف على السارد، هو او هي كي يرسخ ويعول على ما يقرأ هذه الطبيعة من الكتابة تتيح كذلك معرفة الشخصيات من الداخل وتتناقض مع المعرفة الخارجية لها.

فصول الرواية موزعة بشكل متواز بين شخوص الرواية النسائية والرجالية المرأتان، بطلتا الرواية، ميا وصديقتها وجارتها داليا، تتوليان السرد على التوالي في ستة فصول، (١، ٤، ٢،١١، ٦، ١٠) واحداهن تساند الاخرى وتبين معالم الشخصية الاخرى: ميا الحالمة المنعزلة المنطوية على ذاتها، تتناقض مع داليا الكئيبة تماماً والمتوجهة نحو ما هو خارج عن الذات، ولكنهما ايضاً يمتلكان ما هو مشترك بينهما. انهما متعلمتان وتعملان، ولهما رئيس عمل واحد، لميا في "ميسوبوتاميا" وداليا في "سومر".

الشخصيات الرجالية في الرواية ثلاث: هانيء، احمد ورامي هانيء هو الشقيق المعوق لميا، الذي اصيب في ساقيه في ساحة الحرب، وهو الذي يتولى السرد في الفصول (٣، ٤) اما احمد، قريب ميا والمالك متوسط العمر لمحلي التحف القديمة، فيقوم بالسرد في فصلي (٥، ٨) ويقدم الفصل السابع الرسائل التي كتبها رامي الى حبيبته ميا عندما كان يعد لشهادة الدكتوراه في الهندسة في لندن وتتحدث الارتجاعات الذهنية عن ذكريات الشخصيات، مرددة اصدائه مع تناقض بين الماضي غير البعيد والحاضر المنقبض وكما نلاحظ هذه الشخصيات وهي تتفاعل في حياتها اليومية، كما نتخلل الى نفوسهم ونكشف عن قلقهم ازاء ضغوط المشاهد اليومية للحياة في بغداد في التسعينيات والتي تنفتح امام ابصارنا.

تبدأ الرواية بمشهد ضبابي، هو بحد ذاته، الصيغة الدلالية لغموض الوضع الحقيقي، استعادة ذكريات الصواريخ المتفجرة والطائرات القادمة من بلدان بعيدة جداً هذه العبارات لا تشير الى الحرب العراقية الايرانية بل الى حرب الخليج عام ١٩٩١ الحرب لم تسمى، ولكن تأثيرها على النفوس وهي لم تعد تثير الحزن بل الخوف فقط. الحصار الاقتصادي مؤشر ايضاً عبر الخراب والحرمان اللذين احدثهما. فميا لا تملك الخيار الا بارتداء الملابس القديمة دون ان تبدي اهتماماً بزوال الوانها انها تعمل في "ميسوبوتاميا" الذي يديره احمد، خريج جامعة القاهرة، الذي شهد وعانى من صدمة هزيمة ١٩٦٧ ميا (٢٧ سنة)، تعيش مع والدتها وشقيقها المعوق الذي يهوى قراءة كتب التاريخ والآثار. والفصل الارتجاعي الاول يقدم الشخوص الرئيسة عبر تتبع وعي ميا. اما ندرة السلع، فمؤشر عبر الهدايا القيمة التي تجلبها داليا، التي كانت قد عادت من رحلة للعمل الى عمان، حاملة ملابس جديدة للعائلة وقهوة سريعة الذوبان.

وتنفتح الرواية على مهل فرحلة عمل داليا تضمنت تسليم رزمتين الى صديق لاحمد رئيسها في العمل وتتساءل داليا بعد عودتها عن ماهية تلك الرزمتين وتخشى الاسوأ قيامها بتهريب حاجيات ممنوعة، وتواجه احمد، المنجذبة اليه، عاطفياً بالامر. احمد بدوره يقابل شكوكها بالغضب، ونعلم بعدئذ، من حواره الداخلي، ان الرزمتين كانتا لوحتين لرسام معروف ومخطوطتين قديمتين من مكتبة احد اصدقائه، لقد ارسل تلك الحاجيات لمساعدة اولاد تلكما العائلتين في الخارج ويحس احمد بالاستياء انه لم يسرق ولم يزور في شيء ولم يأخذ ثمناً او عمولة لذلك.

وفي حين نجد ان احمد لم يقع تحت اغراء الصفقات المشبوهة المربية، فان العلاقات التي تسود اجواء عمله تكشف عن انحرافات وفساد وكسب غير مشروع ويكشف التعامل في محليه، اناساً يأتون على كره ومضض لبيع اشيائهم الثمينة التي ورثوها اباً عن جد من اجل تدبير معيشتهم وكذلك يقبل الشارون من اجل سلع عراقية الطراز- بسط السماوة الزاهية الالوان ونسخ من قطع آثار سومرية من اجل ارسالها الى اقاربهم في الخارج.

وبينما يضطر الناس لبيع حاجيات تذكرهم بالماضي من اجل العيش والبقاء، يحاول من جهة اخرى الكواسر من رجال الاعمال الاستفادة، قدر الامكان، من الوضع الاقتصادي، شخصيات ثانوية مثل خزعل السلمان وشريكته، الارملة الطروب زاهية، هما نموذجان للطبقة الجديدة التي اينعت في ظل ظروف الحصار، وباختصار او بالتفصيل، بشكل ضمني او عبر اشاعات تتناقل، يستنتج القارئ ان الشريكين يخططان لسرقة قطع من الآثار العراقية وارسالها الى الخارج الخطة هي تقطيع الثور المجنح في نينوى الى قطع عدة وتهريبها الى خارج البلاد وعلى اية حال، يقع حادث سيارة في الطريق، يموت احدهما وينقل الآخر الى المستشفى ونظراً لما يحيط الحادث من إثارة، فان جمالية السرد لم تلجأ الى حل وسط، حيث لم نعلم ابداً، ان كانت الخطة الدنيئة حقيقية ام كانت مجرد تداول اقاويل.

نهاية الرواية مكتوبة بشكل جيد، احمد الذي تعرض لنوبة قلبية، يجتاز مرحلة الهذيان وتمتزج في مخيلته الاحلام والهلوسات انه وهو مهدد بالموت يتأمل معنى حياته ومغزاها ويسأل نفسه اسئلة تتعلق بالوجود وهي تلك التي ترتفع في اللحظات الاخيرة. وحواره الداخلي عن الحياة والموت موشر بالاحالات الى فقرات من نص جلجامش وبحثه الاخير عن السلام لمدينته اوروك. وقالب تلك الفقرات متلائم تماماً مع شخص خبير ومتعامل بالتحف العراقية ويغلف احمد احساس بالعزلة وهو في حالة من الانتظار والاستسلام هذه الحالة تصنع نهاية الفصل الاخير من الرواية وهي الاكثر ملائمة لانهاء هذه الرمزية الوطنية.

"عن الاهرام الويكلي"

❖ د. فريال جبوري غزول- استاذة الادب الانكليزي والمقارن في الجامعة الامريكية- القاهرة ورئيسة تحرير "ألف" مجلة البلاغة النقدية.

مجلات

مجلة المهجر.. تطلعات وآفاق مستقبلية

خاص بالمدى الثقافي
لندن

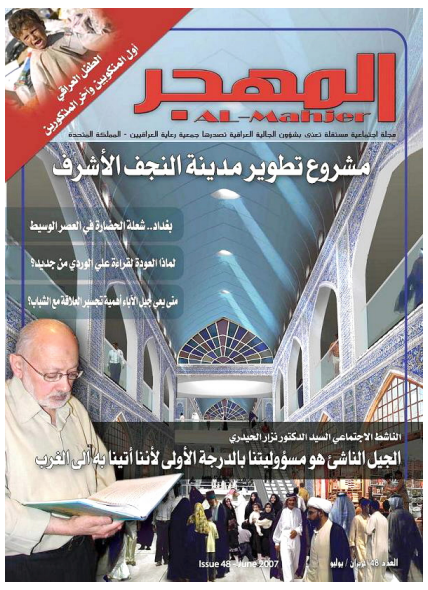

صدر العدد ٤٨ من مجلة "المهجر" وهي مجلة ثقافية اجتماعية تصدرها "جمعية رعاية العراقيين" في المملكة المتحدة، تعنى بشؤون الجالية العراقية في هذا البلد واهتماماتها والمشاكل التي تواجهها وسبل نجاحها على الأصعدة كافة، بحقوقها والخدمات المتوفرة لها في هذا البلد، كما تساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية بين أفراد الجالية، وتوطيد علاقتها بالعراق وتثقيفها بتاريخه وتراثه والتحديات التي تواجهه، وتقوية علاقتها بالمجتمع البريطاني، وترصد الأحداث وتفاعلاتها على الساحتين العراقية والعالمية.

تم في هذا العدد تسليط الأضواء على قضية الطفل العراقي وما أصابه زمن النظام البائد وما يتعرض له الآن من مصاعب وويلات وانتهاك لحقوقه في ظل الأوضاع الاستثنائية التي يعيشها بلدنا في الظرف الراهن، فكان الطفل بحق "أول المنكوبين وآخر المذكورين"، كما عنون رئيس التحرير الدكتور علاء أمين حبة افتتاحية هذا العدد، ساهم في تحرير هذا الملف كل من مدير التحرير الأستاذ شاكر شبع، وعضو الهيئة الاستشارية للمجلة الدكتور حسين أبو سعود.

وضمن سعي المجلة لتقديم شخصية عراقية مهجرية لها دور مؤثر ونتاج مشهود في شتى مناحي العلم والثقافة والعمل الخيري، ضم هذا العدد لقاءاً مع الناشط الاجتماعي الدكتور نزار الحيدري.

وفي باب "شرق وغرب" يستمر الدكتور إبراهيم العاتي عميد الدراسات العليا في الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن، في حلقاته حول التأثر والتأثير والتبادل الحضاري بين الشرق والغرب، وخلص في هذه الحلقة الى: " أن بغداد قد أصبحت إبتداءاً من القرن الثامن الميلادي مسرحاً علمياً وثقافياً التقت فيه حضارة الشرق والغرب فتكونت من لقائهما حضارة جديدة استلهمت روح الإسلام فأضحت هدفاً يسعى له طلاب العلم والمعرفة في ذلك الحين، حيث سعى الغرب الأوروبي في العصر الوسيط وعصر النهضة إلى ترجمته والتعرف على أصوله ومبادئه وأسراره لتأسيس الحضارة الحديثة، وتشكلت مساحة جديدة من مساحات اللقاء المتعدد والمتنوع بين الشرق والغرب".

وفي محاولة لقراءة الشخصية العراقية المعاصرة والظواهر المرضية التي يرزح تحت ثقلها المجتمع العراقي يجيب الدكتور إبراهيم الحيدري، أستاذ علم الاجتماع، على سؤال "لماذا العودة لقراءة علي الوردي من جديد؟" مبيناً أن: " قراءته من جديد تقدم لنا مؤشرات على مصداقية أفكاره وآرائه الاجتماعية لما يحمله عراق اليوم، حيث نبهنا ووجه أنظارنا بنظرته النقدية الثاقبة إلى كثير من أمراضنا الاجتماعية، لأنه كان شاهداً أميناً على أحداث قرن بكامله تقريباً".

وفي المهجر الاجتماعي يقدم الباحث العراقي وعضو الهيئة الاستشارية للمجلة الأستاذ نضير الخزرجي دراسة حول أهمية ردم الهوة بين جيل الآباء وجيل الأبناء في المهجر، متعرضا الى المشاكل التي يعاني منها جيل الشباب والحلول الممكنة.

وتناولت الدكتورة شيرين فؤاد معصوم موضوع تطور السياسة الخارجية الأميركية اتجاه أكراد العراق وآفاقها المستقبلية، ملخصة أطروحتها التي نالت بها شهادة الدكتوراه من الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية.

أما تحقيق العدد فقدمه الدكتور المهندس رؤوف الأنصاري حول "مقترح مشروع تطوير مركز مدينة النجف الأشرف وتوسعة الروضة الحيدرية" مع صور للمخطط الجديد تنفرد (المهجر) بنشرها لأول مرة.

وجاءت الأبواب الثابتة غنية بمحتوياتها وتنوع مواضيعها، ومنها الصحة والحياة، وقصيدة، وأخبار تهم الجالية العراقية في بريطانيا، ونشاطات جمعية رعاية العراقيين، ورسائل القراء واجتماعيات.

أما القسم الإنكليزي من "المهجر" فضم الافتتاحية التي حررها مصطفى الأنصاري بعنوان: The new horizons of Al-Mahjer.

وبحث بعنوان : Where did we go wrong? كتبه الدكتور نجاح كاظم.

وبحث بعنوان : British Muslim Identity كتبه الشاب سامي الراضي.

مدير التحرير في مجلة المهجر